

إضاءات نقدية (فصلية محكمة)

السنة الأولى - العدد الأول - ربيع ١٣٩٠ ش / آذار ٢٠١١ م

التأثيرات الغربية والشرقية في أدب الأطفال عند نسيم شمال (گلزار ادبی نموذجاً)

إيناس محمد عبدالعزيز*

الملخص

گلزار ادبی (الروضة الأدبية) عبارة عن مجموعة من الحكايات التي نظمها نسيم شمال في قالب المشنوي، يبلغ عددها ثلاثة وثلاثين مشنويًا. وقد اعتمد شاعرنا في نظم هذه الحكايات على الكلمات السهلة اليومية، فمن المعروف أن اللغة تلعب دوراً مهماً في الأدب الموجه للأطفال، فاللغة المناسبة لهم هي اللغة السهلة البعيدة عن التكلف الخالية من التعقيدات، والتي يمكن أن توصل الأفكار إلى عقول الصغار بسهولة ويسر. لذلك ابتعد شاعرنا عن الألفاظ الفصحى المعقدة والمجازية والتعابير الغامضة التي يصعب على الطفل فهمها، كما ابتعد عن الألفاظ العامية والألفاظ السوقية المبتذلة حتى لا يتعود عليها الطفل، ويحقق هدفه التعليمي وهو رفع مستوى لغة الطفل دون عسر في الفهم، وكذلك ليضفي على شعره قدراً من الرسمية والكلاسيكية، كما أضاف على حكاياته سمة الجدية وليس الهزل أو السخرية، باستثناء حكاية واحدة بعنوان (الأصلعان) يمكن أن نرى فيها عناصر موجزة للسخرية، وهذه الحكايات كانت تعليمية من الدرجة الأولى ولم يعتمد فيها على الرمز الهادف إلى الأوضاع السياسية والاجتماعية والدينية، كما هو واضح في ديوانه إلا في ست حكايات.

الكلمات الدليلية: نسيم شمال، گلزار ادبی، الأطفال، الأدب.

*. أستاذة مساعدة بجامعة القاهرة.

Enas2006@hotmail.com

تاريخ القبول: ١٣٩٠/٢/١١ هـ. ش

تاريخ الوصول: ١٣٩٠/٢/١ هـ. ش

www.SID.ir

المقدمة

تعد أغلب أشعار هذا الكتاب ترجمة أو اقتباساً لأشعار لافونتين وفلوريان، يقول نسيم شمال في مقدمته لهذا العمل: «لقد استنبطت أغلب هذه الحكايات من قصص لافونتين وفلوريان، وهما من الكتاب الفرنسيين المشهورين في كل أنحاء أوربا.»

لكن ليس معلوماً كيف حصل على قصص لافونتين وفلوريان وبأية لغة اطلع عليها، لكن هناك احتمال كبير أنه تعرف عليها من خلال الترجمات، سواء عن طريق جريدة ملا نصرالدين، أو عن طريق الجرائد الأخرى التي كانت تأتي من باكو ومدن القوقاز الأخرى إلى رشت، و تصل إلى أيدي المفكرين والمثقفين الإيرانيين، لكن الأمر المفروغ منه هو أن السيد ميرزا حسن خان نائب المعارف في جيلان قد ساعد شاعرنا في عمله هذا، على حد قوله في مقدمة الكتاب: قبل إنهاء الحديث لابد من توجيه الشكر إلى صديقي الغالي العظيم، العالم الذكي، الأديب البارع السيد ميرزا حسن خان نائب العلوم في جيلان أدام الله عطاءه الذي لم يضق بمساعدتي في اختيار الكتاب.

وعلى الرغم من تأثر شاعرنا بلافونتين وفلوريان في نظم أشعار هذا الكتاب فإن هذا لم يجعله يغفل الأدب الفارسي والعربي والإغريقي، ولذلك سنحاول الإشارة إلى الحكايات المماثلة لحكايات نسيم شمال في مصادر أخرى:

عنوان الحكاية عند نسيم شمال	حكايات مشابهة في مصادر أخرى
گرگ و بره (الذئب والحمل)	أيسوب: أنت دائماً على خطأ. ترجمة إمام عبد الفتاح إمام. ص ٣٧. لافونتين: الذئب والحمل. الكتاب الأول. محمد عثمان جلال. الذئب والخروف ص ١٠ - ١١.
آهو ومو (الغزال وشجرة العنب)	لافونتين: الغزال وشجرة الكرمة. الكتاب الخامس محمد عثمان جلال: الكرمة والأيل ص ٦٦ - ٦٧.

<p>أيسوب: الفأر والأسد. ترجمة إمام عبد الفتاح إمام. ص ٤٣. أيسوبوس: الصياد والأسد. ترجمة صلاح عبدالعزيز محجوب ص ٥٨. لافونتين: الأسد والفأر. الكتاب الثاني محمد عثمان جلال: السبع والفأر ص ٧٣.</p>	<p>شير وموش (الأسد والفأر)</p>
<p>أيسوبوس: الرجل والموت. ترجمة صلاح عبدالعزيز محجوب ص ٣٢ - ٣٣. أمثال لقمان الحكيم: الإنسان والموت ترجمة صلاح عبدالعزیز محجوب ص ٣٤. لافونتين: الموت والحطاب. الكتاب الأول محمد عثمان جلال: الموت والحطاب ص ٤٣.</p>	<p>خاركش ومرگ خواستن از خدا (الحطاب وطلب الموت من الله)</p>
<p>لافونتين: الحيوانات المحمومة. الكتاب السابع محمد عثمان جلال: طاعون الوحوش ص ٣٩ - ٤٠.</p>	<p>حيوانات طاعون زده (الحيوانات المصابة بالطاعون)</p>
<p>لافونتين: الديك والقط والفأر. الكتاب السادس محمد عثمان جلال: الفأر والديك والقط. ص ٢٠.</p>	<p>بچه موش (الفأر الصغير)</p>
<p>أيسوب: النملة والخنفساء. ترجمة إمام عبد الفتاح إمام. ص ٨٣. أيسوبوس: النملة والقبرة. ترجمة صلاح عبدالعزيز محجوب ص ٨٥. سعدى الشيرازى: البليل والنملة. رسائل تثرية، المجلس الأول. الكليات ص ٩٤٨. لافونتين: البليل والنملة. الكتاب الأول محمد عثمان جلال: الصرار والنملة ص ٤.</p>	<p>بليل ومور (البليل والنملة)</p>
<p>أيسوب: الغراب والتعلب. ترجمة إمام عبد الفتاح إمام ص ٢٩. لافونتين: الغراب والتعلب. الكتاب الأول محمد عثمان جلال: الغراب والتعلب. ص ٥.</p>	<p>كلاغ وروباه (الغراب والتعلب)</p>

<p>أيسوب: ليس عندي ما أخسره. ترجمة إمام عبد الفتاح إمام ص ٤٨. لافونتين: البغلان. الكتاب الأول محمد عثمان جلال: بغلة الأتقال وبغلة المال. ص ٧.</p>	<p>دو قاطر (البغلان)</p>
<p>أيسوب: اعرف حدودك. ترجمة إمام عبد الفتاح إمام ص ٧٣. لافونتين: الكتاب الرابع محمد عثمان جلال: الحمار وصاحبه. ص ٢٤ - ٢٥.</p>	<p>خر وتوله سگ (الحمار والجرو)</p>
<p>أيسوب: المعدة أم الأقدام. ترجمة إمام عبد الفتاح إمام. ص ٨٦. أيسوبوس: مناظرة المعدة والأقدام. ترجمة صلاح عبدالعزيز محبوب ص ٩٧. أمثال لقمان الحكيم: البطن والأقدام ترجمة صلاح عبدالعزيز محبوب ص ٩٨. لافونتين: المعدة والأعضاء. الكتاب الثالث محمد عثمان جلال: المعدة والأعضاء ص ٩٣.</p>	<p>اعضای بدن انسان (أعضاء جسم الإنسان)</p>
<p>لافونتين: الطحان وابنه والحمار. الكتاب الثالث. محمد عثمان جلال: الطحان وابنه والحمار. ص ١٢٨ - ١٢٩. إبراهيم العرب: الحارث وزوجته والجحش. ص ٩٨ - ٩٩. لطيفه های ملا نصر الدين: ص ٩٤ - ٩٥.</p>	<p>پدری با پسرش (أب وابنه)</p>
<p>جلال الدين الرومي: الجمل والثور والكبش. المثنوى المعنوى. مج ٦ ص. سندباد الحكيم. الذئب والتعلب والجمل. ترجمة أمين عبدالمجيد بدوى. ص ٨٣.</p>	<p>شتر وقوچ وگاو (الجمل والكبش والثور)</p>
<p>فلوريان: الأعمى والقعيد. الكتاب الأول إبراهيم العرب: الأعمى والمقعد. ص ٧ - ٨.</p>	<p>کور وچلاق (الأعمى والقعيد)</p>

بادشاه وچوپان (الملك والراعي) فلوريان: الملك والراعيان. الكتاب الأول إبراهيم العرب: الملك والراعيان. ص ١٤ - ١٥.	ماهى سيم (السمكة) فلوريان: السمكة. الكتاب الأول إبراهيم العرب: السمكة. ص ٥٠ - ٥١.
گريه وآيينه (القط والمرآة) فلوريان: القط والمرآة. الكتاب الأول إبراهيم العرب: الهر والمرآة ص ٥٥.	ما ومن (نحن وأنا) أيسوب: الشريك. ترجمة إمام عبد الفتاح إمام. ص ١٠٠. فلوريان: المسافران. الكتاب الأول. إبراهيم العرب: السائحان. ص ٨٥ - ٨٦.
شير ودو گاو (الأسد والثوران) أيسوبوس: الأسد والثوران. ترجمة صلاح عبدالعزيز محجوب ص ٤٦.	فيل وپيشه (الفيل والبعوضة) أيسوب: قليل الشأن. ترجمة إمام عبد الفتاح إمام. ص ٨٢. أيسوبوس: بعوضة وثور. ترجمة صلاح عبدالعزيز محجوب ص ١١٠. أمثال لقمان الحكيم: بعوضة وثور ترجمة صلاح عبدالعزيز محجوب ص ١١٠. فريد الدين العطار: البعوضة والشجرة. فى المقالة الثالثة عشرة فى منظومة مصيبت نامه.
شير وپلنگ وروباه (الأسد والنمر والثعلب) أيسوب: الأسد والدب أو حصاد بلا تعب. ترجمة إمام عبد الفتاح إمام. ص ٣٠.	شتر وخر (الجمل والحمار) إبراهيم العرب: الجمل والحمار. ص ٩٨ - ٩٩.
دو كچل (الأصلعان) فلوريان: الأصلعان. الكتاب الخامس	دروغگو (الكاذب) تشبه من حيث المغزى حكاية طلب النجدة عند أيسوب ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام ص ١٠٩.

تشبه من حيث المغزى حكاية الحمل والذئب والليث عند إبراهيم العرب ص ١٥.	گربه وقالب پنیر (القطعة وقالب الجينة)
-	گرگ و اردک (الذئب والبطة)
-	پلنگ و گربه (النمر والقطعة)
-	اسب و سگ (الحصان والكلب)
-	کچل (الأصلع)
-	خانه (البيت)
-	راست و دروغ (الصدق والكذب)

بناء على هذا الجدول هناك حكايات مشتركة بين نسيم شمال وعدد من الكتاب والشعراء الغربيين والشرقيين، كان قد تأثر بهم خلال نظمه لحكايات كتابه (گلزار ادبی)، وهم: لافونتين، وفلوريان، وأيسوب، ومولانا جلال الدين الرومي. لكننا هنا سنكتفي بإجراء موازنة بينه وبين لافونتين.

نسيم شمال ولافونتين

واضح من الجدول السابق أن هناك اثنتي عشرة حكاية مشتركة بين نسيم شمال ولافونتين، الذي يعد «أشهر من أدخل إلى الآداب العالمية الحديثة القصص على لسان الحيوان وأعطاه أبعاداً شعرية ودرامية جديدة، وجعله ملائماً لروح العصر، في الوقت الذي ربطه بكل تراث القدماء، من قبل أيسوب الإغريقي، ولقمان الشرقي وفيدر اللاتيني ويديبا الهندي من خلال الترجمة الفارسية للنص العربي لابن المقفع.»

رغم تأثر لافونتين بحكايات القدماء، لكنه اتخذ لنفسه نهجا في صياغتها، فقد تجنب الجانب الحكمي والوعظي الواضح في حكايات أيسوب، وقد يرجع ذلك إلى أنه «كان يرى الحكاية الخلقية على لسان الحيوان ذات جزأين يمكن تسمية أحدهما جسما والآخر روحا فالجسم هو الحكاية، والروح هو المعنى الخلقى، ولكي يشف الجسم عن الروح لابد من إجادة تصويره تصويرا يثير كل ما للروح من خصائص. ولذا حرص

لافونتين على توافر المتعة الفنية في حكايته، بحيث يصور في شعره الأفكار العامة من وراء الحقائق الحسية، ويجمع هذه الحقائق الدقيقة التي تتوارد لتوضيح الفكرة العامة، حتى يستطيع العقل أن يحس أفكاره، وبذلك تبرز الأفكار العامة من وراء التصوير الفني واضحة من تلقاء ذاتها.»

كما تخلى لافونتين غالباً عن الأحداث الاستطرازية التي لاتخدم الحكاية ولاتساعد على تطور الحدث، كالحكايات الفرعية المتداخلة كما في حكايات كليلة ودمنه، ومن الممكن اعتبار بعض حكايات لافونتين ضرباً من القصة القصيرة؛ لأنها غالباً تدور حول حادثة واحدة أو موقف واحد أو حالة نفسية أو شعورية في لحظة ما، وتعتمد على السرد أو الحوار، وشخصياتها قليلة، أما أحداثها فمرتبة ترتيباً منطقياً، تتسم بالوحدة والترابط النصي في سياق يشكل مقدمة وعقدة وحلا يخلو من المغزى، حيث يترك للقارئ استنتاجه، وهذا يدل على انتقال الحكى الشعبي على يدي لافونتين إلى قص فردى له خصائصه الأسلوبية الجديدة، مما يعنى أن لافونتين قد بلغ بهذا الجنس الأدبي أقصى ما قدر له من كمال فني وبرع فيه، مما جعله مثلاً يحتذى به، وحاكاه الكثيرون من الآداب المختلفة، من بينهم شاعرنا نسيم شمال الذي كان من الممكن أن يرجع إلى تراثه الممتلىء بهذا الجنس الأدبي والذي يعد أحد مصادره، إلا أنه أعجب بأسلوب لافونتين وتأثر به. لكن لتوضيح مدى الاتفاق والاختلاف بينهما في كيفية تناول الاثنى عشرة الحكاية المشتركة بينهما سنركز على ثلاثة محاور على النحو التالي:

أ. مقدمات الحكايات:

تبين لنا من خلال الاثنى عشرة الحكاية أن لافونتين كان قد اعتمد على ثلاثة أنواع للمقدمات، النوع الأول وهو المقدمة التعريفية التي تبدأ بتقديم أبطال الحكايات، وهي الأكثر استخداماً عند لافونتين، مثال حكاية (الغزال وشجرة الكرم)، وحكاية (الموت والحطاب)، وحكاية (الحيوانات المحمومة)، وحكاية (الديك والقط والفأر)، وحكاية (الببل والنملة)، وحكاية (البغلان)، وكذلك حكاية (الثعلب والغراب) التي بدأها قائلاً:

- السيد غراب على فرع الشجرة.

- يمسك بمنقارة قطعة الجبنة.

والنوع الثانى هو المقدمة التمهيدية التى يوضح من خلالها الشاعر استراتيجية الحكاية ومغزاها، حيث تتضمن العبرة والعظة، وهذا النوع من المقدمات يشبه مقدمات الحكايات فى كليلة ودمنة، على سبيل المثال حكاية (الذئب والحمل)، التى يبدوها لافونتين قائلاً:

- منطق الأقوى دائماً هو الأفضل.

- وسنوضح ذلك حالاً.

كما بدأ (حكاية الأسد والفأر) قائلاً:

- يجب أن يساعد بعضنا بعضاً قدر استطاعتنا.

- فغالبا ما تحتاج إلى الأصغر منك.

- من هذه الحقيقة حكاية اثنين يشكلان الواقع

- والأمثلة على ذلك كثيرة.

والنوع الثالث هو المقدمة التأصيلية التى يسوق الشاعر من خلالها قضية ما أو يطرح

موقفاً ما، ثم يعززه بحكاية تعد بمثابة حكاية تمثيلية؛ لأنها تقوم مقام الشاهد أو المثل،

مثال حكاية (الطحان وابنه والحمار)، ومقدمتها طويلة على النحو التالى:

- إن اختراع الفنون حق لمن لهم السبق،

- فنحن مدينون لليونان القديمة بهذه الأسطورة الأخلاقية.

- فهذا الحقل لا يمكن أن ينبت.

- ولا يستفاد من نبتة إلا بعد مرور آخرين فيه.

- كل يوم يمر بهتدى كتابنا إلى اكتشاف جديد.

- الآن أريد أن أقص عليك شيئاً قد تم إبداعه

- وقد نقله فى الماضى ماليرب إلى صديقه راكان.

- هذان الخصمان لهوراس وورثة لير.

- وهما تلميذان لأبوللو وأستاذاينا حتى نحسن القول.
 - تقابلا ذات يوم بمفردهما بدون شهود.
 - وقد تبادلوا أفكارهما واهتماماتهما.
 - وهكذا بدأ راكان كلامه: أريد أن تقول لى هذا،
 - فأنت على علم كامل بكثير من الأمور الحياتية،
 - وأنت الذى تخطيت كثيرا من الصعاب.
 - والذى تدرك كل شىء فى هذه السن المتقدمة.
 - ما القرار الذى يجب أن أتخذه؟ لقد حان الوقت للتفكير.
 - فأنت تعرف قدراتى وموهبتى ونشأتى.
 - هل أقيم فى القرية؟
 - وأتولى عملا فى الجيش أم أقبل العمل فى البلاط؟
 - كل شىء فى الدنيا ممزوج بالمرارة والعذوبة.
 - للحرب لذتها وحلاوتها، وللزواج قلقه واضطرابه.
 - إذا اتبعت ما أهواه، لعرفت بكل سهولة إلى أى هدف يجب أن أتجه؛
 - لكنى لست وحدى، فلدى أسرة وبلاط وشعب يجب إرضائهم
 - رد ماليرب: إرضاء الجميع أمر صعب.
 - والأفضل قبل أن أرد عليك أن تنصت جيدا لهذه القصة؛
 - قرأت أنه فى أحد الأماكن كان يوجد طحان وابنه.
- وكذلك مقدمة حكاية (الأعضاء والمعدة) لكنها مقتضبة إذا ما قورنت بالمقدمة السابقة

حيث يقول لافونتين:

- كان لا بد لى بحكم موقعى
- أن أكون قد بدأت عملى
- وعندما رأيته
- كانت المعدة هى الصورة التى أمامى

أما نسيم شمال فكان دائماً يفضل المقدمة التعريفية، على سبيل المثال يبدأ حكاية (الغراب والثعلب) قائلاً:

- كان هناك غراب أحرق وتعييس يملك عشا على غصن شجرة.
بينما بدأ حكايته (الذئب والجمل) قائلاً:

- رأى ذئب مجنون ومؤذٍ ومندفع (متهور) حملاً عند مجرى الماء.
وبدأ حكاية (الأسد والفأر) قائلاً:

- انطلق فأر كالسهم من أحد الثقوب وهرب من قبضة الأسد.
وبدأ حكاية (أب وابنه) التي تعد محاكاة لحكاية (الطحان وابنه والحمار) قائلاً:
- فى الشارع كان يسير أب مع ابنه ويرفقه حماره

ب. نهايات الحكايات:

كان لافونتين غالباً يسدل ستار حكاياته دون ذكر المغزى، معتمداً - كما ذكرنا من قبل - على إجادته تصويره للأحداث لكي تعبر عن المعنى بذاتها، على سبيل المثال حكاية (الغراب والثعلب)، حيث ختمها قائلاً:

- شعر الغراب بالخزى والعار مما حدث.

- وأقسم - وإن كان متأخراً بعض الشيء - أنه لن ينصت للمتملقين
وختم حكاية (البغلان) قائلاً على لسان البغل حامل البرسيم:

- إذا لم تكن قد خدمت طحانا مثلى

- ما كنت متعباً هكذا

وأنهى حكاية (الحمار والجرو) قائلاً:

- على الفور بدل الحمارة ألعانه

- وهكذا انتهت الكوميديا.

كما ختم حكاية (الأعضاء والمعدة) التي تعد تمثيلية، قائلاً:

- قد رأهم مینوس

- يشبهون الأعضاء
 - وبهذه الأسطورة الأخلاقية
 - أعادهم إلى أعمالهم.
- لكن على الرغم من ذلك كان لافونتين أحيانا يختم بعض حكاياته كأيسوب بذكر مغزى الحكاية الذى يشتمل على الوعظ والحكم. وهذا يدل على عودة لافونتين فى بعض الأحيان إلى تقنية الحكى الشعبى من حيث ذكر المغزى، لكن هذا لا يظهر كثيرا عنده، على سبيل المثال (حكاية الديك والقط والفأر) التى ختمها قائلاً:
- حاذر ما دمت حيا
 - لاتحكم على الناس من مظهرهم
- وكذلك حكاية (الطحان وابنه والحمار) التى تعد تمثيلية فقد اشتملت نهايتها - التى تعد إجابة على السؤال الذى طرح فى بدايتها- على وعظ، وهى على النحو التالى:
- وأما أنت فلتتبع المريخ أو الحب أو الملك.
 - اذهب واجر واستقر فى الولاية.
 - تزوج أو اعتكف أو التزم صنعة أو عملا فى الحكومة.
 - لايمكن إغلاق أفواه الناس، فأى شخص سيقول شيئا، فلا تتردد فى هذا الشأن.
- أما نسيم شمال فكان على عكس لافونتين، غالبا ما اعتمد على تقنية الحكى الشعبى وأنهى حكاياته بحكمة ووعظ تعليمى أو أخلاقى، باستثناء حكاية (الغراب والثعلب)، فقد أسدل ستارها دون وعظ قائلاً:
- غاص الغراب الصغير فى الغم وأقسم بجرأة شديدة
 - أنه لن يسمع مرة أخرى كلام أحد وخاصة المتملقين الأخساء

ج. مغزى الحكايات:

كان لافونتين غالبا لا يذكر مغزى الحكاية، بل كان يترك للقارئ استنتاجه، وإذا ما ذكره فكان ذكره يأتى إما فى مقدمة الحكاية وخاصة المقدمة التمهيدية كما فى حكاية

(الذئب والحمل) وحكاية (الأسد والفأر) وحكاية (الحمار والجرو) وإما أن يرد في نهاية الحكاية مثل حكاية (الموت والحطاب)، وكذلك حكاية (الديك والقط والفأر)، أما نسيم شمال فغالبا ما كان يذكر مغزى الحكاية في نهايتها.

بعد دراسة الحكايات تبين أن نسيم شمال اتفق مع لافونتين في مغزى بعض الحكايات، مثل حكاية (الغراب والثعلب)، حيث أكد كل منهما ضرورة عدم الإنصات للمتلقين، وحكاية (الفأر الصغير) التي تقابل عند لافونتين (الديك والقط والفأر)؛ حيث اتفق الاثنان على ضرورة عدم الانخداع بالمظاهر، وفي حكاية (الغزال وشجرة الكرمة) أكد الاثنان أهمية الاعتراف بالجميل، أما في حكاية (الحمار والجرو) فقد دعا كلاهما إلى ضرورة عدم تجاوز الحدود وضرورة تقدير كل شخص لإمكانياته. وفي حكاية (أب وابنه) التي تقابل عند لافونتين (الطحان وابنه والحمار) فقد أكد الاثنان ضرورة عدم الإصغاء لثرثرة الناس، لأنه لا جدوى منها، وأخيرا حكاية (الموت والحطاب)، حيث يختمها لافونتين قائلاً:

- الأفضل أن نعاني ونتألم بدلا من أن نموت

- هذا هو شعار بنى آدم في هذا العالم

أما نسيم شمال، فقد ختم الحكاية قائلاً:

- أي إنسان فقير، مريض، عجوز لا يشبع من الحياة

- ففي ظلمات سكرات الموت ينتظر نور جمال الحياة

أما حكاية (الذئب والحمل) فقد اعتمد نسيم شمال ولافونتين على الرمز في مغزاها ذي المنحى السياسى، وقد عبر كل منهما عنه بأسلوبه، فلافونتين ركز على أن منطق القوة صار هو المفضل مما أدى إلى شيوع الظلم، فيقول:

- منطق الأقوى دائما هو الأفضل.

- وسنوضح ذلك حالا.

.....

- مزقه الذئب وأكله

- دون أن يتحرى الدقة
أما نسيم شمال فقد أكد أن البقاء للقوى وليس للضعيف، فكل من لا يتمتع بالقوة
يدل ويقتل، فيقول:
- كان الحمل الضعيف ينشد بنواح هذا الكلام تحت أسنان الذئب.
- كل ضعيف ذليل، والقوة أكبر دليل على ذلك.
- علاوة على الحكايات السابقة، هناك حكاية بعنوان (البغلان) أكد لافونتين من
خلالها ضرورة عدم تجاوز الحدود والتزام كل شخص بعمله، فيقول البغل حامل البرسيم
لصديقه في نهايتها:
- إذا لم تكن قد خدمت طحانا مثلي
- ما كنت متعبا هكذا
- أما أيسوب الذى كانت حكايته بعنوان (ليس عندي ما أخسره) فقد أكد من خلال
مغزاها أن الفقير المتواضع يعيش آمنا، أما الغنى فهو يعيش على حافة الخطر دائما. لكن
نسيم شمال جمع بين كلا المغزيين، وقال على لسان البغل حامل البرسيم:
- ماذا فعلت بالمال والسلطة، السلامة فى فقر الصاحب
- عندما تجاوزت حدودك تجرعت الألم والمرارة.
- فى النهاية نود أن نقول إن نسيم شمال رغم اتفاقه مع لافونتين غالبا فى مغزى
الحكايات، فإنه لم يكن مترجما حرفيا، بل يمكن أن نقول إنه بعد أن استوعب موضوع
الحكايات صاغها بأسلوبه وانتقل من مجرد الترجمة الجافة التى تلزم الأصل بطريقة
حرفية إلى موضوع جديد، والدليل على ذلك وجود حكايات موجزة لديه فى حين
أنها تتسم بالإسهاب عند لافونتين، مثل حكاية (أب وابنه) التى تقابل عند لافونتين -
كما ذكرنا- حكاية (الطحان وابنه والحمار)، هذا فضلا عن اختلاف أسلوبيهما وطريقة
تصويرهما للحكاية، ولذلك سوف نذكر ترجمة حكاية (الفأر الصغير) لنسيم شمال
ومقابلها عند لافونتين وهى بعنوان (الديك والقط والفأر) مثالا على اختلافهما فى
تصوير الأحداث، أما مغزى الحكاية فرغم أنهما اتفقا عليه وهو ضرورة عدم الانخداع

بالمظاهر، فإن نسيم شمال قد استعان فيه بالرمز بهدف توضيح وضع بعض الناس في بلاده.

- أولاً. ترجمة الحكاية عند لافونتين:
- فأر صغير مازالت خبراته محدودة.
- كاد أن يقع في الفخ.
- فحكى لوالدته الحكاية على النحو التالي:
- عبرت الجبال التي تحيط بهذا البلد
- وقمت باجتيازها كفأر شاب
- يسعى في الفضاء الواسع لكسب رزقه
- وقعت عيني على اثنين من الحيوانات
- أحدهم لطيف، وظريف وطيب القلب
- والآخر ماكر وخبيث وحائر
- لديه صوت خارق وقاسٍ.
- على رأسه قطعة لحم.
- كان لديه شيء يشبه المخلب وكان يرفع نفسه في الجوّ،
- كالذي يريد أن ينهض للطيران.
- وله ذيل من الريش الملون الكثيف.
- هذا هو الديك الذي كان فأرنا يريد
- أن يصوره لأمه.
- كأنه الحيوان الذي أتى من أمريكا.
- قال: إنه قاتل وبرفرقة أجنحته
- كان يحدث ضجيجا وضوضاء
- ورغم فضل الله وما أتمتع به من شجاعة،
- لكنني هربت من شدة الخوف.

- ولعنته من كل قلبي.
- فلو لم يكن موجودا لاستطعت التعرف على هذا الحيوان اللطيف الصغير مثلنا.
- الذى لديه ذيل طويل ومتواضع.
- كان ينظر إلى بحياء لكن بعيون براءة محدقة.
- اعتقد أنه متعاطف جدا
- مع السادة الفئران، لأن لديه آذانا
- تشبه آذاننا.
- كنت أريد الاقتراب منه لكن الصوت المفاجئ
- جعلنى أهرب
- قالت الفأرة، يا بنى، هذا اللطيف هو القط
- الذى يخفى خلف طبيته الكذب والنفاق
- عكس من له صلة قرابة بك
- خبيث أراد أن يخدعك
- وعلى العكس تماما الحيوان الآخر
- فمن المستبعد أن يلحق بنا أى ضرر منه
- وربما يعد لنا فى يوم من الأيام طعامنا
- أما مطبخ القط فقائم على لحمنا
- حاذر ما دمت حيا
- ولا تحكم على الناس من مظهرهم
- أما الحكاية عند نسيم شمال فهى على النحو التالى:
- ذات يوم خرج فأر صغير من الشق متجها إلى الصحراء الواسعة الرحبة.
- فوصل إلى سفح الجبل والمرج، فرأى هناك اثنين من الحيوانات.
- رأى قطة صغيرة كالعروس وخلفها ديك صغير.
- ولأنه لم يكن يعرف حبيبه من عدوه، عرض الفأر الوليد نفسه للخطر.

- حيث أراد أن يتجه نحو القطة ليصبح فريسة لخصمه.
 - فتقدم الفأر اللطيف نحو القطة، لكن الديك صاح فجأة.
 - وعندما فرفر الديك بجناحيه، خاف منه الفأر الصغير.
 - وذهب إلى أمه الحنون، وقال رأيت اثنين من الحيوانات اليوم.
 - الأولى ناعمة ورشيقة وجميلة، جسدها كالحرير.
 - كانت عيناها الزرقاوان مثل عيناك، ووبرها ناعم مثل وبرك.
 - والثاني كان على رأسه تاج أحمر، ولحيته حمراء ومخيف وقبيح الشكل.
 - أردت أن أذهب نحو الأولى، فرفرف الثاني بجناحيه.
 - ففرت خوفاً منه واتجهت نحو شق الغار.
 - عندما سمعت أم الفأر هذا الكلام، انهمرت الدموع من عينيها.
 - وقالت يا وليدى الصغير إنك لم تعرف الفرق بين العدو والصديق.
 - ذات العيون الزرقاء التى رأيتها أولاً، اسمها قطة وهى عدوتك.
 - القطة ماجنة، وهى عدوة الفئران.
 - وذاك الذى رأيته قبيح الشكل هو الديك، وهو أفضل من الجميع.
 - خلصك من القتل، فحذار يا عزيزى كل الحذر.
 - لاتتخدع بظاهر الأشخاص، ولاتأكل شيئاً من أيدي الأخصاء.
- والحكاية الثانية التى سوف نستشهد بها هى حكاية (البلبل والنملة)، لكننا لن نكتفى بذكر ترجمتها عند كل من لافونتين ونسيم شمال فحسب، بل سنذكر ترجمتها عند سعدى الشيرازى أيضاً لنرى كيف عالجهما كل واحد منهم، فرغم اشتراكهم فى أبطال الحكاية والحدث الرئيس فيها وهو انشغال البلبل بالغناء والرقص، بينما النملة اهتمت بجمع الحبوب، لكنهم اختلفوا فى طريقة سرد الحكاية وتصويرها، هذا فضلاً عن اختلاف المغزى، فسعدى الشيرازى الواعظ الدينى قد أكد فى نهاية حكايته ضرورة أن يجتهد الإنسان بزراعة الطاعة فى مزرعة الحياة، ليظفر بالآخرة. أما لافونتين فقد أسدل الستار دون وعظ وترك للقارئ استنباطه، أما نسيم شمال فقد أكد ضرورة التعلم وأهمية العمل

خلال فترة الشباب؛ لينعم الإنسان بحياة كريمة في الكبر، وها هو نص الحكاية عند سعدى الشيرازى:

روى أن بلبلًا ابنتى له عشا على فرع شجرة فى روضة، واتخذت نملة صدفة أسفل تلك الشجرة لها موطنًا، وأنشأت لأيامها العديدة مقاما ومسكنا وكان البلبل يقضى نهاره وليله وهو يحلق حول الروضة ويرجع على يربط نغماته الآسرة ترجيعاته، وكانت النملة مشغولة فى ليلها ونهارها بجمع النفحات، وقد انتفج البلبل بصوته فى جنبات الروض كان البلبل يكلم الورد رمزا وكان ريح الصبا يزجى بينهما غمزا. وحين كانت هذه النملة الضعيفة تشاهد دلال الورد وضراعة البلبل كانت تقول بلسان الحال: ماذا يتأتى عن هذا القيل والقال وسوف يجد الجد فى وقت تال، فلما انقضى فصل الربيع وكل موسم الخريف وحل الشوك محل الورد ونزل الغراب فى مقام البلبل، وأخذت رياح الخريف تهب والأوراق تتساقط من الأشجار، واصفر وجه الورق، وبردت أنفاس الهواء وجعل الدر ينتثر من رأس السحاب، والكافور ينتخل من غربال الهواء، دخل البلبل بغتة الروضة فلم ير لون الورد ولم يشم رائحة السنبل فخرس لسانه الحكاء فليس من وردة يرى جمالها ولاخضرة يشاهد كمالها، فضاقت طاقته لفقره وعجزه إعجازه لفاقته فتذكر أن نملة فى آخر الأيام سكنت بأسفل هذه الشجرة وكانت تجمع الحبوب، فيرفع اليوم حاجته إليها ويطلب منها شيئا بسبب قرب الدار وحق الجوار.

ذهب البلبل الجائع من عشرة أيام إلى النملة يستجديها، قال: أيتها العزيزة إن السخاء دليل السعادة وأساس السيادة، وكنت أمضى عمرى العزيز بغفلة وكنت تقومين بجليل الأعمال وتكدسين الذخائر فلو تكرمت على بنصيب منها، فقالت النملة: كنت فى الليل والنهار فى القيل والقال وأنا فى جهيد الحال؟ كنت تشغل نفسك بنضارة الورد ونضارة الربيع، ولم تكن تدرى أن لكل ربيع خريفا ولكل طريق نهاية.

فاسمعوا أيها الأعداء قصة البلبل وقيسوا عليها حالكم واعلموا أن وراء كل حياة وعقب كل وصال فراقا وليس صفاء الحياة بلا ثمالة وأطلس البقاء بدون برد الفناء، فإن خطوتم فى طريق الطاعة قرأتم: {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ} (الانفطار: ١٣) ولكم جزاء وإن

بسطتم رحلكم فى ربع المعصية تلوتم: {وَإِنَّ الْفَجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ} (الانفطار: ١٤) لكم قصاصا، فلا تغفلوا فى ربيع الدنيا كالبلبل واجتهدوا وبزراعة الطاعة فى مزرعة الحياة؛ لأن الدنيا مزرعة الآخرة، فإن هبت ربح صرصر خريف الموت دخلتم شق القبر كالنمل بحبوب العمل الصالح، قال الحكماء لا تلبثوا عاطلين حتى إذا حلق نسر: {إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ} (الواقعة: ١) وبسط جناحى (ليس لوقعتها كاذبة) وقرع طبل (القارعة) وجاشت العقول من حرارة شمس القيامة وماجت القلوب من هببة نفخة الصور كنت معذورا لانتقض ظهر يد الحسرة بأسنان الحيرة فكان أمامك مثل هذا اليوم، واجتهدت لتحصل على الزاد أثناء هذه المهلة القصيرة وادخرت الذخيرة. وفى يوم القيامة تتحير ويتفكر خلائق الأرض وملاتك السماء، ويرتعد الأنبياء، ويرتغب الأولياء، ويرتعش المقربون والحاضرون.

- إذا خاطب الله فى المحشر يا لقهر الأنبياء أين عذرکم.
 - فقل أجل ربي الستر عن وجه لطفك فللأشقياء أمل المغفرة.
 - فإن حصلت الزاد اليوم من مزرعة الدنيا طرحته بالغد فى الجنة الباقية.
 - فاز بقصب السبق من الدنيا من حمل معه نصيبا على الآخرة.
- بينما الحكاية عند لافونتين على النحو التالى:

- كان البلبل يشدو
- خلال فصل الصيف
- لكنه فقد كل شىء
- عندما هبت الريح
- فلا يملك شيئا
- من الذباب أو الديدان
- ذهب باكيا من الجوع
- إلى جاراته النملة
- يطلب منها أن تقرضه

- بعض الحبوب من أجل البقاء على قيد الحياة
 - حتى الموسم الجديد
 - وقال لها: قبل أغسطس وأقسم لها بشرف الحيوانات.
 - سأرد لك الدين وفوائده
 - النملة لا تقرض
 - فالإقراض ليس من طبعها
 - ماذا كنت تفعل في فصل الصيف؟
 - قال لها لهذا المفترض
 - ليل نهار كنت أغنى
 - ألا يرضيك
 - تغنى؟ أنا سعيدة
 - حسنا أرقص الآن
- أما الحكاية عند نسيم شمال فهي على النحو التالي:
- كان هناك بلبل ثمل دائما يرقص على الأغصان المتشعبة في فصل الربيع.
 - وكانت هناك نملة تحمل الحبوب داخل جحرها من أجل الشتاء.
 - وبسبب التفكير في الشتاء انشغلت ليل نهار بجمع الحبوب وهي مفعمة بالسعادة.
 - عندما مر فصل الربيع والخريف، ورفعت الشتاء رايتها على الصحارى والوديان.
 - واختفى أى أثر للون الأخضر والبنفسجى فى الصحارى والبساتين إلا الثلج.
 - صار البلبل العاجز أسيرا للثلج، ولم يعد قادرا على الحركة.
 - فجاء يشحذ، وهكذا قال للنملة الضعيفة الصغيرة:
 - اقرضينى بعض الحبوب، فالقرض ضرورى وقت الضيق.
 - فردت عليه النملة: خلال فصل الربيع لماذا لم تفكر فى مثل هذا الوقت؟
 - هكذا رد البلبل المغرد: كنت أرغب فى الرقص والغناء.
 - أسعدت قلبى بالغناء، ولم أفكر فى الشتاء

- قالت له النملة الصداقة شيء، لكن الإقراض ليس من طبعي.
- أيها الصديق كل ما تريده اطلبه مني، لكن لا تقترض مني دون رهن.
- لقد قال لي ملا قلي عدة مرات، إذا كنت عاقلة فلا تقرضى مطلقا.
- الخلاصة وقع البلبل ومات حزنا لكنه حمل حسرته على الحبوب معه في القبر.
- يا عزيزي التقط السكر بشفاهك كالبيغاء، واتعظ من ذلك البلبل وتلك النملة الصغيرة.
- انشغل بالعمل خلال فترة الشباب، وإلا صرت ذليلا وعاجزا في مرحلة الشيخوخة.
- لاتغفل التدريب والتعليم، واخش الجهل والفقر في مرحلة الشيخوخة.
- عندما يشحب وجهك ويبيض شعرك، ستصبح الحياة بلا جدوى.
- ليست الأسنان للشواء والطعام، وليس الرضا في وجود زوجة لك في البيت.
- ليس هناك معين للإنسان إلا العلم، ومؤنسك الوحيد هو أشرف الدين.

المصادر والمراجع

- درويش، أحمد. ١٩٩٦م. الأدب المقارن: النظرية والتطبيق. ط ٣. القاهرة: دار الفكر الحديث.
- بدوي، أمين عبدالمجيد. ١٩٨١م. القصة في الأدب الفارسي. بيروت: دار النهضة العربية.
- إمام عبد الفتاح، إمام. ٢٠٠٣م. حكايات إيسوب: دراسة وتعليق وترجمة. مجلة القاهرة: العدد ١٥٣.
- غنيمي هلال، محمد. لاتا. الأدب المقارن. القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
- الحسيني، اشرف الدين. ١٣٧٥ش. كليات سيد اشرف الدين گيلاني (نسيم شمال) باهتمام احمد اداره چي گيلاني. تهران: انتشارات نگاه.
- عاطف راد، مهدي. ١٣٨٤ش. نسيم شمال: بنيادگر ادبيات كودكان در ايران. شاعر مردم باهتمام: على اصغر محمد خاني. تهران: انتشارات سخن.
- دروديان، ولي الله. ١٣٨٤ش. لافوتين وسيد اشرف الدين حسينى قزوينى. شاعر مردم باهتمام: على اصغر محمد خاني. تهران: انتشارات سخن.